خطبة الجمعة :11/03/2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعال**

سلسلة تربية الأبناء

الخطبة التاسعة:قواعد تربوية 3

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعة الله، و أستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6].

- قال سيدنا علي ﷺ: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾:أي علموا أنفسكم وأهليكم الخير.
- وقال مقاتل:هي أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**))[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**))[2].

هذه هي الخطبة التاسعة في سلسلة تربية الأبناء، ولئن تحدثنا في خطبتين ماضيتين عن قواعد تربوية مهمة، فإن عنوان خطبة اليوم متابعة لهما:

قواعد تربوية (3)

تقوم التربية الناجحة على قواعد وأسسٍ تربوية مهمة جداً، والمأمول من كلّ مربٍ مراعاتُها، فإن لم تُرْعَ القواعد نشأ البنيان على غير استقرار واتزان، وقد عرضنا ثلاث قواعد فيما مضى:

- أولها: رفع الحرج.
- ثانيها: قلة التكاليف.
- ثالثها: التدرج في التربية.

وتعرض خطبة اليوم لقاعدتين جديدتين، وهما:

القاعدة الرابعة: مراعاة الفروق الفردية بين الأبناء

فقد خلق الله تعالى الناس مختلفي القدرات، ومتفاوتي المواهب، ومتباييني الطباع، ومتمايزي الألسنة والألوان، وباهتمامات شتى، وجعل هذا التباين والتمايز والاختلاف آية من آياته، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾، [سورة الروم: 22].

ولم يشأ سبحانه أن يجعل الناس شكلاً واحداً، وطرازاً واحداً، وملةً واحدةً، وفكراً واحداً، وميولاً واحداً، واهتمامات متماثلة، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ . . ﴾، [سورة هود: 118- 119]، قيل في تفسيرها: للرحمة خلقهم، وقيل: للاختلاف خلقهم، وقيل للجمع بينهما –وهو الأكمل- للاختلاف والرحمة.

مؤدى هذا الكلام أن الناس مختلفون، أن أبناءك مختلفو الطباع والميول والمواهب، والمربي الناجح هو الذي يراعي الفروق الفردية بين أبنائه، فلا يطلب إليهم جميعاً الطلبَ نفسه، ولا يرجو منهم الأداءَ

---

[1] () متفق عليه (البخاري 6618، مسلم 203)، عن معقل بن يسار ﷺ.

[2] () رواه الترمذي برقم: 1875، عن عمرو بن سعيد بن العاص.

ذاته، ولا يأمل بهم الأملَ عينَه، وإنْ كان يدعو لجميعهم بالخير والنجاح والتوفيق، ويعطي كلاً منهم ما يتناسب مع قدراته واهتماماته العقلية والجسدية والنفسية...

فقد كان صلى الله عليه وسلم -من هذا الباب مراعاة للفروق الفردية- يسأله أفرادٌ السؤال نفسَه، فيجيب كلاً منهم بجوابٍ مختلفٍ عن صاحبه، وكأني به صلى الله عليه وسلم ينظر في ميولِ كلٍّ منهم وإمكانياته واستعداده.

- فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقَالَ صلى الله عليه وسلم: **((عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ))**[1].
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: ((إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ))، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((حَجٌّ مَبْرُورٌ))**[2].
- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **((سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))**[3].

ولعله صلى الله عليه وسلم -مراعاة منه للفروق الفردية- كان يختلف جوابه عن السؤال الواحد في القضية الواحدة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: **((كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَ شَابٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَبِّلُ وَأَنَا صَائِمٌ؟ قَالَ: لَا، فَجَاءَ شَيْخٌ فَقَالَ: أُقَبِّلُ وَأَنَا صَائِمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((قَدْ عَلِمْتُ لِمَ نَظَرَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، إِنَّ الشَّيْخَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ))**[4].

لذلك أيها الإخوة يخطئُ الأب الذي يقارن بين أبنائه في دراستهم، فيقول: انظروا إلى أخيكم فلان ينجح بدرجات عالية، وأنتم لا تفعلون؟

---

[1] () رواه النسائي برقم: 2192, عن أبي أمامة ﷺ.

[2] () رواه البخاري, برقم: 25, ومسلم, برقم: 118, عن أبي هريرة ﷺ.

[3] () رواه البخاري, برقم: 2574, عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

[4] () رواه الإمام أحمد, برقم: 6451 , عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

إذ ربما تميّز هذا الأخ بقدراته على تحصيله العلمي، لكن باقي الإخوة تميزوا بقدراتٍ علمية أخرى، ولم يتميزوا في القدرات العلمية.

وتخطئ الأم التي تقارن بين أبنائها في برها بالمال، فتقول: انظروا إلى أخيكم فلان يُقَدِّم لي شهرياً المبلغَ الفلاني، لكنكم لا تفعلون، إذ ربما وسعَّ الله على هذا الابن برزقه، وقَدَر رزق الآخرين.

ويخطئ الأب الذي يطلب من أبنائه جميعاً أن يكونوا معه أطباء في المشفى، أو صنّاعاً في المعمل أو تجاراً في السوق، لأن لكلِّ امرئٍ فروقاً فردية يتميَّز بها عن أقرانه، وجَعْلُ الجميع شكلاً واحداً من دون الأخذ بالفروق الفردية خطأٌ تربوي كبير.

في مقررٍ دراسي في ولاية أوهايو الأمريكية حكايةٌ رمزيةٌ عنوانها: مدرسة الحيوانات، تقول الحكاية: قررت الحيوانات ذات يوم أن تقوم بشيءٍ خارق، فأقامت مدرسةً منهجاً دراسياً للنشاطات يتألف من الجري والتسلق والسباحة والطيران، وقررت أن تأخذ جميع الحيوانات كلَّ المقررات.

كانت البطة ممتازةً في الطيران، لكنها كانت ضعيفة جداً في الجري، وعليه فقد فُرِض عليها أن تبقى بعد ساعات الدراسة لتتمرن على الجري، ثم أهملت السباحة، وقد داومت على التمرين حتى أرهقت قدميها وأضعفتهما، وأصبحت متوسطة المستوى في السباحة، ولأن التقديرات المتوسطة كانت مقبولة في المدرسة، فلم يشعر أحدٌ بأي قلق سوى البطة نفسها.

أما الأرنب فكان الأول على الصف في الجري، لكنه أُصيب بانهيار عصبي بسبب ما عاناه في السباحة.

وكان السنجاب ممتازاً في التسلق، لكنه أصيب بإحباط من دروس الطيران، وقد أصيب بتصلب في أرجله بسبب زيادة الإجهاد، وحصل على تقدير متوسط في التسلق، ومقبول في الجري.

وكانت السباحة بالنسبة للنسر مشكلة، وفي نهاية السنة كانت هناك سمكة تستطيع أن تسبح بشكل فائق، وتستطيع أيضاً أن تجري، وأن تتسلق، وأن تطير قليلاً؟!! وقد حصلت على أعلى تقدير متوسط، وقامت بإلقاء كلمة الخريجين.

إنه من الخطأ الجسيم ألا نراعي الفروق الفردية، ونطلب إلى الجميع الطلب نفسه.

والمربي الناجح يراعي الفروق الفردية بين أبنائه وطلابه، وإن اختلاف عقولنا ونفوسنا وأهوائنا أشبه باختلاف وجوهنا.

القاعدة الخامسة: القدوة الحسنة:

لا يخفى عليكم أيها الإخوة أن القدوة في التربية من أهم الوسائل وأخطرها، لأن الأبناء – والصغار منهم على الأخص- يرون في آبائهم وأمهاتهم المثلَ الأعلى، والأسوةَ الصالحة، فيقلدونهم سلوكياً وخُلُقياً.

وإن أفضل طريقة لغرس القيم والفضائل في أبنائك أن تتمثلها أنت، فيرونها فيك سلوكاً وتطبيقاً، وقديماً قالوا:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوّده أبوه

وما دان الفتى بحجا ولكن يعوده التدينَ أقربوه

روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: (ليكن أولُ ما تبدأ به من إصلاحِ بَنِيَّ إصلاحَ نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت).

ختاماً، ما المطلوب منك في هذه الخطبة؟

1- اعلم أن أبناءك مختلفو القدرات والميول والمواهب والاهتمامات ، فلا تعقد مقارنةً بينهم لئلا تحطم شخصيتهم، وتزرع بذور الحقد فيما بينهم.

2- لا تطلب من أبنائك أن يكونوا على شاكلة واحدة وأن ينجزوا الانجاز نفسه.

3- أعطِ كلَّ ابن من أبنائك ما يتناسب مع مستواه العقلي والعلمي والخُلقي.

4- كن قدوةً صالحة لأبنائك.

والحمد لله رب العالمين